القصص

مشاهـــــدات غريبة

للأستاذ محمد احمد الغمراوى

أستاذ الكيمياء بكلية الطب

١

فى منجـــــم

كانت ليلة السبت ١٨ فبراير سنة ١٩٧٨ موعد انعقاد الجمعية الطبيعية الكيميائية فى الكلية ، وكان المقرر أن يذهب أعضاؤها لزيارة منجم فحم على بعد ميلين أو ثلاثة من نوتنجهام . فبعد أن تناولنا الشاى بالكلية خرجنا ومعنا الرئيس الاستاذ بارتن (١) فركبنا الترام الى المنجم ، وهناك وجدنا بعض رجاله ينتظروننا ، فقيل لنا انه لا بد من أن يحمل كل منا مصباحا يستضيء به ، وقادونا الى غرفة المصابيح أو بالأحرى مخزنها ، وقد ذكرنى حين دخلته بمخزن القناديل فى مسجد البلد أيام كان المسجد يضاء بالقناديل ، فقد كانت رائحة الزيت المحترق تفوح من المصابيح الموقدة المصفوفة . وكان كل مصباح عبارة عن فتيلة داخل اسطوانة قصيرة من الزجاج متصلة من أعلاها بمخروط ناقص من شبك الحديد ، يظاهره مثله من صفائح النحاس ، وهذا ينتهى بحلقة يحمل منها المصباح تلتقى عندها أسلاك تتصل بالقاعدة وتصون زجاجتها . هذا هو مصباح (دافى) اخترعه السير (همفرى دافى) لأول مرة سنة ١٨١٥ وهو على بساطته جم النفع ، لأن شبكته الحديدية تحول بين اللهب : لهب المصباح — أو لهب ما قد يدخله من غازات ربما تصاعدت من شقوق يصيبها العامل فى اقتطاعه الفحم — وبين أن يمتد إلى ما قد يخالط هواء المنجم من غاز قابل للالتهاب ، فيحترق دفعة واحدة فينسف ما حوله . وتلك خاصة من خواص ما شابه الحديد والنحاس من المعادن أنها لسهولة سريان الحرارة فيها إذا لامست غازا ملتهبا أخذت من حرارته ما يكفى لتخفيض درجتها عن درجة الالتهاب . فاذا تعدى الغاز منها إلى خارجها فقد غير ملتهب

حمل كل منا مصباحا وذهبنا لنزل المنجم فانا المنزل اليه فوهتان كأنهما بئران متجاورتان منصوب عليهما قوائم متشابكة من الحديد عظيم حجمها وارتفاعها . تحمل فى أعلاها جهازا يتدلى منه سلسلة متينة . تحمل فى طرفيها صندوقين كل صندوق فى فوهة . والسلسلة من الطول بحيث اذا حاذى أحد الصندوقين وجه الأرض ، مس الآخر أرض المنجم على عمق خمس وسبعين وماتتى ياردة . هذا هو الرافع الذى يرفع به الفحم الى سطح الأرض ولكنه لا كالذى نعرف عن الرافع . فانه على سماجته التى لا تليق بما جعل له ، عجيب فى نظامه وحركته . وهو يتحرك بالكهرباء . يدير العامل مفتاحا فى إحدى تلك القوائم ، فيدق جرس صغير ثلاث دقات فى باطن الأرض وفى ظهرها ايذانا ، وعندئذ يهوى أحد الصندوقين ويرتفع الآخر بسرعة ثلاثين ميلا فى الساعة . وكل منهما فى يده هبوطه يدع سلسلة كان قد رفعها تقل حاجزا من من خشب فيسد باب الفوهة . فاذا ما قارب الصندوق مقره فى صعوده رفع السلسلة فانفتح الباب

بدأنا النزول منتصف الساعة السابعة ، فدخل منا عشرة صندوقا فوسعهم مع العامل واقفين متلاصقين . واذا فى أرض الصندوق فضيان حديدان اذا بلغ الصندوق ارض المنجم كونا جزءا من السكة الحديدية الممتدة فيه ، وعليها توقف عربات الفحم وترفع بما فيها الى سطح الارض . والهابط الى المنجم يشعر بما العلك شعرت بعضه اذا كنت هبطت راكبا بعض مصاعد الحوانيت التجارية أو المبانى الكبرى . يخيل إليه أن الرافع قد هوى من تحت قدميه ، ويقوى هذا الشعور عنده كلما زادت سرعة الهبوط حتى اذا بدأت تتناقص فى النصف الآخر من المسافة وأحس حمل أرض الرافع لقدميه أكثر من قبل خيل اليه أنه صاعد وليس بصاعد . وفى صعوده يشعر بعكس ما شعر فى هبوطه . فلما تكامل عددنا داخل المنجم ذهبنا الى غرفة الملابس فخلع بعضنا فيها رداءه . ثم سرنا فى طرق

---

(١) رحمه الله مثلا الخلق الكريم والعلم الواسع والنصائح المجدية . بقى حياته بكلية نوتنجهام صيا من صيان سماطها يخدمها وينظم فيها وانتهى بأن صار استاذ الطبيعة فيها وقد انتخب زميلا بالجمعية الملكية

فيها بعض سعة سقوفها أقية مبنية ، ونورها مصابيح كهربائية . تزيد زيارة الجهاز الكهربائي الضخم الذي يجر عربات الفحم من مسافة لا تقل عن ميل . ولا تظن العربات تتحرك كما يتحرك الترام ؛ ولكن بحبل غليظ مشدود بها اذا دار الجهاز دارت اسطوانة كبيرة بسرعة كبيرة فالتف عليها الحبل فانجرت العربات . ثم ذهبنا فرأينا مرابط الخيل التي تجر العربات فيها وراء الميل ، فاذا هي ليست أسعد حالا من خيول جر الانقال في مصر . وهي شر منها في أنها قائمة دائمة تحت الارض لا ترى الشمس بعد نزولها المنجم حتى تموت

ثم سرنا بعد ذلك ميلين في طرق تضيق حتى لا تكاد تتسع لشخصين يسيران جنباً لجنب ، كانت من قبل عروق الفحم في الأرض فنقبها العامل بصبره ومعوله ، نائما على بطنه ومستلقيا على ظهره ومائلا على جنبه ومنحنيا وقائما . وكلما نقب خطوات الى الارتفاع المرسوم جاء بالأخشاب الغليظة فجعلها سقفا يحمل طبقات الفحم أو الطين حتى لا تنهال : تحمله من جانبيه قوائم من مثله أقيمت عمودية على جانبي الطريق . ولم يخل سيرنا في تلك الطرقات من تعب ، فكثيرا ما كنا نسير فيها منحنين نحس السقف بأعيننا والأرض بأرجلنا : ولكنا كنا نتخذ من ذلك كله فكاهات نضحك لها . فمن كان يرانا عند ذاك يرى أشباحا يحمل كل منها مصباحا . ولم يخل منظر المصابيح يتلو بعضها بعضا من بهجة في تلك الظلمة ؛ ثم كان يسمع أصواتا تتجاوب ، فلا يكاد القائد يقول — وكثيرا ما كان يقول : — رأسك والخشبة ! حتى يرفع بها صوته من خلفه ولا يزال الصدى يلقى بها الى فم كلما مر بالخشبة شخص حتى يبلغ آخر الصف . وقد تسمع بين ذلك هيذا يصيح : وادماغاه ! وذاك : وارجلاه ! أو تسمع سائلا يسأل وآخر يجيب . وأحيانا اذا استقام الطريق كانت ترتفع أصوات بعض الغناء بغنيه معا . فنجد له عندئذ ما يجد الجندي الذي أتعبه السير الموسيقى . وكنا نظن أننا ذاهبون لنرى القاطعات الكهربائية التي تقتطع الفحم : فاذا بالقائد يقودنا كل تلك المسافة ليرينا الفحم أين هو ! فلما سألناه عن القاطعات قال هي في جهة أخرى لا نصل اليها من موقعنا ذلك الا عند منتصف الليل . فرجعنا أدراجنا نقول : متى يبلغ ؟ ولم نلقه إلا بعد الثامنة . فكتب كل منا اسمه في دفتر الزائرين ثم صعدنا فزرنا المولد الكهربائي الذي يدير تلك الآلات كلها : فاذا آلات بخار فيها الفكر في غرفة عرضها عشرون خطوة وطولها خمس وعشرون ، ويكفي لتقدير عظم آلاتها أن التيار يتولد عن قوة محركة كهربائية قدرها ٢٥٠٠ فولت . ولعل ترام القاهرة لا تزيد القوة المحركة لتياره على خمسمائة .

المبـــارزة

للكاتب الروسي اسكندر بوشكين

كنا نعسكر في قرية روسية صغيرة ، وأنت تدرك بالطبع حياة الضباط وما تكون عليه ، تؤدي في الصباح التمرينات العسكرية وتتدرب على ركوب الخيل ، ثم تتناول طعام الغداء عند قائد الفرقة أو في المطعم اليهودي ، فاذا جاء الليل أخذنا نشرب الخمر ونلعب الورق ، ولم يكن لنا غير هذا الجانب الضئيل من التسلية ، لأن الفتيات الناضجات لم يكن يسمح لهن بالخروج . وكنا نعق الوقت معا حتى اذا اجتمعنا لم نجد بيننا فردا لا يرتدي الملابس الرسمية .

ثم تعرفنا الى شخص من غير الجنود ، ومع أنه كان في الخامسة والثلاثين تقريبا كنا نعتبره أكبر من هذا بكثير ، وكنا نعتقد في حكمته وكثرة تجاربه ، ولقد أسبغنا نحن الشبان بكرمه وقوة شخصيته وما فطر عليه من التهكم وعدم الاكتراث . وخيل الينا أن وراء هذا كله شيئا يكتمه ، وأن بين ضلوعه سرا يطويه . ولقد نبئنا أنه كان في فرقة الفرسان يشهد له الجميع بالتفوق والنشاط ، ثم استقال منها لجفاة لسبب مجهول ، واستكف في هذه القرية الصغيرة ؛ ومع قلة معاشه كنا نراه ينفق عن سعة ويفتح بيته لنا نحن الضباط ، فاذا جلسنا الى مائدته استطعنا أن نأكل ثلاثة أصناف من الطعام ، وأن نشرب الكثير من كؤوس الشمبانيا ؛ ولم نكن نعرف شيئا من شؤونه الخاصة ، غير أن الذي يعد له طعامه هو خادمه العجوز الذي كان في مطلع حياته جنديا ؛ ولم يجسر أحد على سؤاله عن حياته أو ماضيه .

وكانت له مكتبة حافلة بالكتب — معظمها خاص بالجندية وما

والعامل في منجم الفحم يتقاضى أجرا كبيرا لما في عمله من الخطر والمشقة . وهو يحاسب على كل طن يقتطعه ، وقد يقتطع ما يؤجر عليه سبعة جنيهات في الأسبوع . وقد وجدنا أن المنجم مقسم الى مناطق صغيرة كل منطقة لها رمز من عدد أو حرف تعرف به ويعرف به العامل فيها . وكلما ملأ عامل عربة كتب رمزه على كل قطعة ظاهرة من فحمها ليعرف أنها له فتضاف الى حسابه . والمنجم الذي زرناه كان يستخرج منه في اليوم في ذلك الحين مائة وألف طن من الفحم لقلة العمال . وقبل الحرب كان يستخرج منه حوالي خمسة آلاف طن في اليوم .

محمد احمد الغمراوي